الأخـــــلاق

في الأحوال والمقامات الصوفية

دراسة عقدية

إعداد الدكتورة

بدرية محمد عبدالله الفوزان

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وبعد:

فإن من أعظم نعم الله تعالى على عبده أن هداه إلى صراطه المستقيم، وحذره من الوقوع في شراك أهل البدع والضلالات والخرافات، قال تعالى:﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)(الأنعام :١٥٣) ثم قيض الله لهذا الدين من يحفظه ويرد على تلك الضلالات من الكتاب والسنة، لا من المكاشفات والإلهامات والذوق والمنامات.

ومن هذه البدع الكثيرة: بدعة التصوف الذين استطاعوا استغلال تيار الزهد والأخلاق لترويج معتقداتهم وأباطيلهم التي ما أنزل الله بها من سلطان، وقد اجتهدوا في ذلك لصياغتها في قوالب إسلامية وعبارات شرعية؛ ليسهل تغلغلها في الأوساط الإسلامية، ومن تلك البدع ما أسموه بالأحوال والمقامات حيث جعلوها في قالب الأخلاق لتسمو بالإنسان إلى مقامات العبودية والأحوال الرضية، لهذا كانت هذه الدراسة **"الأخلاق في المقامات والأحوال الصوفية دراسة عقدية"**.

مشكلة البحث: تميزت الصوفية طوال تاريخهم بأخلاقيات انفردوا بها عن غيرهم وخصوا أنفسهم بها دون سواهم، حتى أصبحت لهم مقامات وأحوال بها يعرفون، وتعد الدراسات الأخلاقية عند الصوفية من أغنى الدراسات واهتمام الصوفية بها عظيم وكتابتهم فيها كثيرة مما

جعل التصوف مرادفاً للأخلاق عند الباحثين؛ فكان لزاما بيان المنهج الأخلاقي في المقامات والأحوال لدى الصوفية ومعرفة الجوانب المخالفة للمنهج الأخلاقي الصحيح.

حدود البحث: اقتصر البحث على عرض بعض المصطلحات الأخلاقية عند الصوفية وليس جميعها، مع دراسة الأخلاق في جانب الأحوال والمقامات الصوفية ونقدها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال استقراء الكتب والرسائل التي ألفت في هذا الموضوع.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١-أثر المقامات والأحوال الصوفية على أخلاق المتصوف.

٢-أثر الاعتقادات في مقام الزهد على محاسبة النفس الإنسانية.

٤-الرغبة في الوقوف على تلك الأحوال والمقامات وأثرها على عقيدة المتصوف.

أهداف البحث:

١-التعريف بالمقامات والأحوال الصوفية وخصائصها وعلاقتها بعلم الأخلاق.

٢-بيان المصطلحات الأخلاقية عند الصوفية.

٣-إبراز الجانب الأخلاقي في المقامات والأحوال الصوفية.

أسئلة البحث:

١-ماهي المقامات والأحوال عند الصوفية؟ وما علاقتها بعلم الأخلاق؟

٢-ماهومعالم منهج الصوفية في الأخلاق؟

٣-ما هو الجانب الأخلاقي في المقامات والأحوال الصوفية؟

منهج البحث: هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

خطة البحث: يتكون البحث من تمهيد ومقدمة ومبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: الأخلاق في الأحوال والمقامات عند الصوفية ويشمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: **التعريف بالصوفية ومراحل تطورها.**

المطلب الثاني: **أبرز عقائد الصوفية.**

المطلب الثالث: **أبرز أعلام الصوفية.**

المطلب الرابع: **التصوف وعلاقته بعلم الأخلاق**

المطلب الخامس: **معالم الأخلاق في التصوف من خلال مراحل تطوره**

المطلب السادس: **خصائص الأخلاق عند الصوفية**

المبحث الثاني: الأخلاق في الأحوال والمقامات الصوفية.

المطلب الأول: **تعريف المقامات والأحوال والفرق بينهما**

المطلب الثاني: **الأخلاق في المقامات والأحوال الصوفية.**

المطلب الثالث: **نماذج من المقامات والأحوال الصوفية:**

المطلب الرابع: **نموذج على الطرق الصوفية في المقامات والأحوال "الطريقة الملامية أو الملامتية**

الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
الأخلاق في الأحوال والمقامات عند الصوفية

المطلب الأول
التعريف بالصوفية وعقائدها وعلاقتها بعلم الأخلاق.

أولاً: نشأة الصوفية وتطورها.

بداية نشأة الصوفية [(١)]: ظهرت الصوفية في مراحل فمنذ عهد النبي -صلى الله عليه وسلم -وعهد خلفائه حتى وفاة الحسن البصري، لم تعرف الصوفية ولم يعرف في ذلك العهد هذا الغلو التي تشهده الصوفية في أعمالها التعبدية والاعتقادية إلا في بعض النزعات الفردية نحو التشدد على النفس الذي نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم: (لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني) [(٢)] ،وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد.

المرحلة الأولى: ظهور العُبّاد: في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، وذلك بسبب الفتن، وإراقة بعض الدماء، فآثروا اعتزال المجتمع تصوُّناً عما فيه من الفتن ، يضاف إلى ذلك أيضاً فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع

(١) انظر: دراسات في التصوف والفلسفة، صالح الرقب، (ص١٢) الجامعة الإسلامية-غزة، الطبعة الأولى-١٤٢٧هـ. الصوفية عقيدة وأهداف، ليلى بنت عبد الله، (ص١٣)، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى -١٤١٠هـ. التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية، فخر الدين المحسي، (ص٤٣٠)، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الخامسة-١٤٣٣هـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم٥٠٦٣، (٢/٧)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ.

الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة حيث كانت بداية الانحراف عن المنهج الأول في جانب السلوك([1]).

المرحلة الثانية:مقدمات الانحراف: فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام، وترك الزواج وهجر النوم وإدامة الصلاة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، يقول مالك بن دينار: "لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب"([2])، وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والمستنكرة.

يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: "في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية"[3].

(١) انظر: دراسات في التصوف والفلسفة، صالح الرقب، (ص١٤)

(٢) التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية، فخر الدين المحسي، (ص٤٤)

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٥١/١)، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، دون طبعة، ١٤١٦هـ.

ثانياً: مرحلة التطور والانتشار لدى الصوفية:

أخذت الصوفية في التطور وأصبح مذهباً له سلوكياته واعتقاداته وأصحابه، فظهرت طبقات الصوفية التي كان لها الأثر في الصوفية وهي ثلاث طبقات[1]:

الطبقة الأولى: وهو التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حدّ الوسواس، والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم–وأصحابه، وأهم أصحابها الجنيد مثلاً، وهذه الطبقة يظهر فيها بداية التباين عما كان عليه جهور المسلمين والعلماء، حيث مهدت الطريق لتطور الصوفية وارتباطها بالعقائد المنحرفة والفلسفات، لأنهم كانوا يتناولون العبادات بما يسمون (الذوق) [2].

الطبقة الثانية: خلطت الزهد بعبارات باطنية، حيث يمارسون الزهد عن طريق التأمل التجريدي والكلام النظري، الأمر الذي أوصلهم لعقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد، وأهم أصحاب هذه الطبقة، أبو اليزيد البسطامي، والحلاج، وذي النون المصري.

الطبقة الثالثة: في هذه الطبقة اختلطت التصوف بالفلسفة واستقرت عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد، وهذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مرت بها التصوف حيث جمعت بين البدع العملية والعلمية. [3]

المطلب الثاني: أبرز عقائد الصوفية.

يعتقد المتصوفة عقائد شتى وهي أبعد ما تكون عن الكتاب والسنة، بل وجعلوا بعض هذه العقائد من أصول الدين والإيمان أبرزها:

---

(١) انظر: طبقات الصوفية، لمحمد النيسابوي السلمي، (ص٢٨٣)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى–١٤١٩هـ. الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، (٢٥٢/١)، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ١٤٢٠هـ.

(٢) الذوق: إمكانية السالك أن يتذوق حقيقة النبوة مثلاً وأن يدرك خاصيتها بالمنازلة.

(٣) انظر: طبقات الصوفية، لمحمد النيسابوي السلمي، (ص٢٨٣)

أولا: عقيدتهم في الله عز وجل: هي عقيدة الحلول كما هي في مذهب الحلاج ([1])، ووحدة الوجود، حيث لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأبرز رجال هذه العقيدة ابن عربي وابن السبعين وغيرهم [(٢)].

ثانياً: عقيدتهم في الأسماء والصفات: هو اعتقاد الأشاعرة والماتريدية، فالأشاعرة قد اتفقوا على إثبات الصفات السبعة المعروفة، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والبصر، والسمع، ثم اختلفوا فيما زاد عن ذلك، فالمتأخرون من الأشعرية اكتفوا بهذه الصفات السبع، وغلاتهم قطعوا بنفي ما سواها، وزعموا أن بقية الصفات راجعة إما إلى الذات–موافقةً للمعتزلة في ذلك–وإما إلى الصفات السبع، كما قرر ذلك الغزالي والرازي وغيرهما ([3]) وزاد بعض الماتريدية صفة ثامنة على ما أثبته متأخروا الأشاعرة، وهي صفة التكوين ([4])

ثالثاً:عقيدتهم في النبي صلى الله عليه وسلم: لم يصل أحد إلى ما وصل إليه المتصوفة من الغلو والانحراف، ومن مقولاتهم: " خضنا بحراً توقف الأنبياء في ساحله"فظهر عندهم اعتقاد "الحقيقة المحمدية" وأصول الصوفية في ذلك يمكن إيجازها في نقاط أربع: أولها: الاعتقاد بأن

---

(١) الحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج، ويكنى أبا مغيث. وقيل: أبا عبد الله .نشأ بواسط. وقيل بتستر، وخالط جماعة من الصوفية منهم سهل التستري والجنيد وأبو الحسن النوري وغيرهم .رحل إلى بلاد كثيرة، منها مكة وخراسان، والهند وتعلم السحر بها، وأقام أخيراً ببغداد، وبها قتل .تعلم السحر بالهند، وكان صاحب حيل وخداع، فخدع بذلك كثيراً من جهلة الناس، واستمالهم إليه، حتى ظنوا فيه أنه من أولياء الله الكبار. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١٢/٨-١٤١). المنتظم لابن الجوزي (٢٠١/١٣-٢٠٦). سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤ / ٣١٣-٣٥٤). البداية والنهاية لابن كثير (١٣٢/١١-١٤).

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، محمد العريفي (٤٠٥/١)، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى – ١٤٣٠هـ.

(٣) المقصد الأسنى للغزالي(١٥٧)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام(٣٨٥/٦)

(٤) انظر: إشارات المرام(١٨٨)، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات(٤٣٠/٢)

بشرية النبي عليه الصلاة والسلام ليست كبشرية الناس، وأن طبيعته تختلف عن الطبيعة البشرية العامة في أصل الخلقة، وثانيها: الاعتقاد بأن رسول الله كان أصله من نور، وثالثها: الاعتقاد بأنه كان أول الخلق، ورابعها: الاعتقاد بأن رسول الله كان غاية الوجود، ولولاه ما خلق الله الخلق، يقول القاشاني شارح فصوص الحكم لابن عربي: "إن محمدًا أول التعينات التي عين به الذات الأحدية قبل كل تعين فظهر به ما لا نهاية من التعينات، فهو يشمل جمع التعينات، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له: إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة، وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحدّ ونعت، فله الفردية المطلقة، ومن هذا يعلم أن الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء، ومن فرديته يعلم سر قوله: كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين"(١).

رابعاً: اعتقادتهم في الأولياء: فلهم عقائد شتى، ومنهم يجعلون الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية، فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال والنجباء حيث يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير، ومنهم من لا يعتقد ذلك ولكنهم أيضاً يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم سواءً كان في حياتهم أو بعد مماتهم(٢).

خامساً: اعتقادهم في إبليس وفرعون: إبليس يعتقد كثير من الصوفية، خاصة أصحاب وحدة الوجود أنه أكمل العباد وأفضل الخلق؛ لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم، وكذلك فرعون عندهم أفضل الموحدين؛ لأنه قال: (أنا ربكم الأعلى) فعرف الحقيقة لأن كل موجود هو الله ثم هو في زعمهم قد آمن ودخل الجنة(٣).

---

(١) شرح القاشاني على فصوص الحكم، ص ٢٦٦،٢٦٧

(٢) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد خالق، (ص٤٣)، مكتبة ابن تيمية- الكويت، الطبعة الثالثة- ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: الصوفية عقيدة وأهداف، ليلى بنت عبد الله، (ص٢٨).

سادساً: اعتقادهم في للشريعة: أن لها ظاهر وباطن والباطن هو الحقيقة التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار (١).

سابعاً: اعتقادهم في الجنة والنار والفناء: فأما الجنة فإن معظم الصوفية يعتقدون أن طلبها منقصة ولا يجوز للولي أن يطلبها ولا يسعى إليها ومن طلب الجنة فهو ناقص، وهو ليس هدفاً عند المتصوفة بل كان هذا هو طلب العامة والدهماء في زعمهم فإن المتصوفة جعلوا لهم أهدافاً أخرى غير ذلك وهو أن يكون كل منهم إلهاً ورباً يعلم الغيب كله كما يعلمه الله سبحانه وتعالى ، وإنما الطلب عندهم هو الفناء المزعوم في الله المسمى: "الحلول والاتحاد" هذه جنة الصوفي المزعومة، وأول من دعا لهذه الفكرة أبو يزيد البسطامي كان يقول:" "رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا"(٢)

المطلب الثالث
أبرز أعلام الصوفية

إن المتصوفة لا يعتمدون في أقوالهم وآرائهم على الكتاب والسنة، وإنما هم تبع لأقوال الرجال، وكلما كان الرجل أبلغ حجة كان أكثر إتباعاً، ولهم في كل عصر من العصور رجال يحملون رايتهم وينشرون بدعتهم، وسنذكر بعض الأشخاص الذي بقي ذكرهم في الصوفية ومنهج وتأثيرهم على الصوفية، فمن **أبرز أعلامهم**:

(١) انظر: دراسات في التصوف والفلسفة، صالح الرقب، (ص١٧)

(٢) اللمع ص٤٦١

أولاً: أبو القاسم القشيري (ت:٤٦٥): يعد كتابه "الرسالة القشيرية" من الكتب الأصلية التي يعتمد عليها الصوفية في تقرير المذهب، ويجعلونه عمدة في سلوكهم وتربيتهم للمريد وغير ذلك.

ولأجل ذلك وأهمية الكتب فقد ألف شيخ الإسلام كتاب الاستقامة في الرد على مظاهر سلوكية مبتدعة عند الصوفية (١).

ثانياَ: أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥): الغزالي له دور كبير في تشجيع الاتجاه الصوفي وله تأثير كبير في خلط التصوف بالفلسفة فإن كتبه لها تأثير في إدخال الفلسفة في التصوف، إلا أن الفلاسفة الصوفية لم يرضوا عنه تماماً؛ لأن منهجه يختلف عن منهجهم ولأن قوله لم يصل إلى القول بوحدة الوجود (٢).

وابتدع الغزالي قولاً في أسماء الله تعالى وتابعه عليه ابن العربي وابن السبعين، فأوقعهم في الحلول، يقول ابن تيمية رحمه الله: " وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب"(٣).

ثالثاً: أبو حفص عمر بن محمد السهرودي (ت:٦٣٢): ومن أهم كتب المتصوفة، كتاب "عوارف المعارف" للسهرودي، ففيه بيّن أصولهم وحدد ضوابطهم، وعرف مصطلحاتهم (٤).

رابعاً: الشاذلي (ت:٦٣٢): وهو من كبار الصوفية، وله اتباع قد وضع لهم حزباً فيه أدعية وابتدعها يذكرون الله تعالى بها، يقول ابن تيمية باستعمالهم لأذكار مبتدعة: "نُقل عن

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، محمد العريفي، (٣٠٨/١).

(٢) انظر: ابن تيمية والتصوف، مصطفى حلمي،(ص٢٨٥)، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى-٢٠٠٥م.

(٣) الصفدية، ابن تيمية، (٣٣٧/٢)،تحقيق: محمد رشاد، مكتبة ابن تيمية -مصر، الطبعة الثانية -١٤٠٦هـ.

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، محمد العريفي ،(٣١٣/١).

الشاذلي: يكون الجمع في قلبك مشهودا؛ والفرق على لسانك موجودا؛ كما يوجد في كلامه وكلام غيره أقوال وأدعية، وأحزاب تستلزم تعطيل الأمر والنهي مثل دعوى أن الله يعطيه على المعصية أعظم مما يعطيه على الطاعة، ونحو هذا مما يوجب أنه يجوز عنده أن يجعل الذين اجترحوا السيئات كالذين آمنوا وعملوا الصالحات أو أفضل..."(١)

خامساً: ابن عربي(ت:٦٣٨): يعد رأس القائلين بالحلول والاتحاد وكل من أتى بعده ممن تكلم في ذلك فقد أخذ منه، قال ابن تيمية: " القول بوحدة الوجود وهو مذهب ابن عربي وابن سبعين وأمثالهم"(٢).

هؤلاء أبرز رجال الصوفية الذي قد تكلم عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية مما أحدثوه في التصوف وكان لهم أتباع وأنصار وما لهم من مؤلفات وتصانيف تأثر بها على من بعدهم.

المطلب الرابع
التصوف وعلاقته بعلم الأخلاق

عرف التصوف في بداياته بأنه رياضات نفسية ومجاهدات للطباع، وكسر لشهوات النفوس وتعذيب للجسد كي تصفو الروح، ولا ننكر أن أوائل الصوفية آثروا الجانب الروحي إذا صح التعبير بكلامهم عن أعمال القلوب وخطراتها، والتركيز على الإخلاص والتوكل والإنابة والخشية لله سبحانه وتعالى، وإذا كان هذا الصفاء الروحي يأتي بدون تكلف عند السلف نتيجة التربية المتكاملة، فنحن هنا بصدد التشدد وتكلف لحضور هذا الصفاء، وبصدد

(١) مجموع فتاوى، ابن تيمية، (٣٢٣/٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٣٤/٢).

تفتيش عنها يصل إلى حد الوساوس، وتنقيب لم ينقب عنه من هو أفضل منهم، كحالهم مع (الإخلاص) وغلوهم فيه(١).

قال الجنيد رحمه الله: "التصوف استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني" (٢) وقال: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات "(٣)، ويصف الكرخي نفسه فيقول: "كنت أصبح دهري كله صائماً، فإن دعيت إلى طعام أكلت ولم أقل إني صائم"(٤).

ومن الجوانب التي تظهر فيها مكانة الأخلاق عند الصوفية (الدعاء) فجل أدعيتهم التي وردت عنهم غلب عليها النزعة الخلقية؛ لأن فيه حديثًا عن إعداد النفس للدعاء، ولأنه رياضة على حسن الأدب مع الله و تمثل قدرته ورحمته في كل لحظة يهم فيها المرء بعمل حقير أو جليل،والرغبة في التقرب إليه بصالح الأعمال، أضف إلى ذلك أن هذه الأدعية تكرر وتعاد لأن أكثرها موصول بظروف تقع كل يوم، وفي تكرارها ما يوجب طبعها في النفس؛ وذلك ضمان لتأثيرها البالغ في الأدب والأخلاق ، لكن لا ننسى أن متأخري الصوفية قد تأثروا بالنصرانية، والشيعة في هذا الجانب أي الدعاء ويظهر ذلك جليا في أحزابهم وأورادهم(٥).

---

(١) انظر: دراسات في الفرق الصوفية نشأتها وتطورها، محمد العبده وطارق عبد الحليم، (ص ١٩)، دارالأرقم، الكويت الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.

(٢) حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، (ص ٨)، الطبعة الخامسة، دون تاريخ ومكان النشر.

(٣) موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، الوصيفي، (ص٤١)، دار الإيمان-الإسكندرية،٢٠٠١م.

(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/٤٧٠)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة-مصر،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٥) الفرق بين الحزب والورد عند بعض الصوفية، أن الورد: يقرأ في أوقات منظمة فيقال أوراد النهار وأوراد الليل، أما الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص.ينظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (ص ٤١٩)، مؤسسة هنداوي-مصر،٢٠١٢م.

وكذلك فمن الجوانب التي تظهر فيها أهمية الأخلاق عندهم (الوصايا والنصائح) خاصة عند الصوفية الأوائل، فكثير منها تجري مجرى النصح، يقول الجنيد في رسالته إلى أبي بكر الكسائي:"أخي أين محلك عند تعطيل العشار، وأين دارك وقد خربت الديار"[1] ، فالأخلاق عند الصوفية ليست مجرد تطهير للقلب من الآفات ، وإنما تسري الأخلاق مع المقامات الصوفية ابتداءً من مقام التوبة وانتهاءً بمقام التوحيد أو الفناء ، إذ أن تخلية القلب من الآخلاق المذمومة أو من الآفات المرذولة لابد أن يصاحبها التحلي بالأخلاق المحمودة ، وهذا هو المحور الأساسي في الطريق الصوفي[2].

المطلب الخامس
معالم الأخلاق في التصوف من خلال مراحل تطوره

يمكن حصر أهم المعالم التي تميز التصوف والذي يتبين فيه الجانب الأخلاقي بشكل واضح وجلي، فيما يلي[3]: (الزهد–الترقي الأخلاقي–المحبة الإلهية–الفناء في الحقيقة المطلقة–العرفان الذوقي المباشر–الطمأنينة أو السعادة–الرمزية في التعبير–الولاية).

أولا: الزهد: ظهر لدى جميع الصوفية الزهد في معظم المراحل التي مر بها التصوف الإسلامي، إذ إن كل متصوف لابد أن يكون زاهداً، بينما العكس ليس صحيحاً، إذ ليس من الضروري أن يكون كل زاهد متصوفاً ومن أبرز الخصائص التي يتميز بها الزهد:

(أ)إنه يقوم على أساس فكرة "مجانبة الدنيا" من أجل الظفر بثواب الآخرة واتقاء عذاب النار، متأثرا في ذلك بتعاليم القرآن والسنة.

---

(١)انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (٤٥٧ – ٤٥٨).

(٢) انظر: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، إبراهيم تركي، (ص٤٥).

(٣) ينظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفا التفتازاني، (٣–١٠) باختصار، دار الثقافة للطباعة والنشر –القاهرة ،١٩٧٦م.

(ب)إنه زهد ذو طابع عملي، ولم يعن أصحابه بوضع القواعد النظرية له.

(ج)إنه كان يتخذ دافعاً له الخوف من الله، وهو خوف يبعث على العمل الديني الجاد، هذا، ومن الملاحظ الزهد لايتحقق إلا بعدة وسائل: منها: العيش في هدوء وبساطة تامة، والتقليل من المأكل والمشرب إلى أقصى حد ممكن، وأيضاً: الإكثار من العبادات والنوافل والذكر" أي ذكر الله تعالى بمختلف الصيغ والأساليب "، وكذلك المبالغة في الشعور بالخطيئة، والخضوع المطلق لمشيئة الله وما يؤدي إليه ذلك من التوكل عليه. ([1])

ثانياً: الترقي الأخلاقي: التصوف يدعو إلى الترقي الأخلاقي، من خلال تصفية النفس من الرذائل من أجل الوصول إلى تحقيق هذه القيم، وهذا يستتبع بالضرورة مجاهدات بدنية ورياضات نفسية وروحية معينة وزهد في ماديات الحياة الدنيا، فالتصوف طريق عملي يسلكه السالك أو المريد، ويترقى فيه من مقام إلى مقام، وقد يجد توفيقاً من الله في ذلك ممثلاً في الأحوال التي تطرأ عليه[٢].

ثالثاً: المحبة الإلهية: إن المحبة الحقيقية أساسها الزهد في النفع الشخصي، فإذا زهد الإنسان في الأشياء المادية ارتقى إلى مرتبة من المحبة الروحانية المبنية على تصور الكمال المطلق، وهي محبة الله، بمعنى محبة الله لذاته لا لثوابه وإحسانه، وكلما كان اطلاع الإنسان على دقائق حكمة الله أكمل كان حبه له أتم[٣].

ومن الملاحظ أن فكرة المحبة الإلهية قد تغلغلت في جميع جوانب التصوف الإسلامي.

رابعاً: الفناء في الحقيقة المطلقة: للفناء عند الصوفية معنيان: أحدهما أخلاقي، والآخر شعوري أو نفسي، أما الفناء بالمعنى الأخلاقي، فإنه يتمثل في سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة، وهذ الفناء لا يتحقق إلا بكثرة الرياضات الروحية والمجاهدات النفسية، بينما يتمثل المعنى الشعوري أو النفسي للفناء في عدم الإحساس بعالم

(٣) انظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفا التفتازاني، (٤)

(٢) انظر: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، إبراهيم تركي، (٣٩-٤٥)، باختصار، دار الكتب القانونية-مصر، بدون طبعة-٢٠٠٩م.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (١/٤٣٩-٤٤٠)، دار الكتب اللبناني – بيروت، ١٩٧٣م.

الملك والملكوت، وهو لا يكون إلا بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق[١] ، والفناء بهذين المعنيين يميز التصوف بمعناه الاصطلاحي ، وإن كان المعنى الثاني للفناء يعد أكثر اختصاصا بالتصوف.

والمقصود بالفناء الذي يختص به التصوف إنما هو أن يصل الصوفي بمجاهداته ورياضاته إلى حالة نفسية معينة لا يعود يشعر معها بذاته، فلا يشعر إلا ببقائه مع حقيقة أسمى مطلقة، هي الله عند صوفية الإسلام، وأنه قد فنيت إرادته في إرادة " المطلق"، وفي هذه الحالة يقول بعض الصوفية بالاتحاد بهذه الحقيقة أو أنها حلت فيهم، أو أن الوجود واحد لا كثرة فيه بوجه من الوجوه[٢].

خامساً: العرفان الذوقي المباشر: يعد العرفان الذوقي المباشر معياراً معرفياً موثوقاً به عند الصوفية، وهو يميز التصوف عن غيره من الفلسفات، فالصوفي يؤمن بأن وراء إدراكات الحس واستدلالات العقل منهجاً آخر للمعرفة بالحقيقة هو " الذوق "أو " الكشف "، فالذوق في اصطلاح الصوفية يطلق على معرفة الله معرفة مباشرة تكون بلا حس ولا عقل، وإنما هي عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره[٣] ، وأما " الكشف"، فهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا[٤] وهو الكشف في بعض المصطلحات.

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني، (ص١٦٩)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان
الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(٢) انظر: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، إبراهيم تركي، (ص٤٩).

(٣) انظر: التعريفات، الجرجاني، (ص١٠٧).

(٤) المصدر السابق، (ص١٨٤).

سادساً: الطمأنينة أو السعادة: الصوفية على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية ونزعاتهم المذهبية قد اهتموا بالحديث عن السعادة الإنسانية، وجعلوها غاية السلوك الإنساني، وذلك عندما جعلوا مدارج طريقهم تنتهي بالسالك إلى أن يحصل على الطمأنينة والسعادة، فالطمأنينة: هي السكون والثبوت والاستقرار، والثقة والراحة، وضدها القلق والاضطراب (١) ، ومذهب الطمأنينة والاطمئنان في صورته الصوفية يعني أن الحب المحض يوصل إلى الاتحاد بالله في يسر، ويولد في النفس سلاماً مطلقاً، وكل مذهب يجعل الكمال الروحي نتيجة للتأمل الخالص المستقل عن الفعل فهو مذهب اطمئناني، وكل أمر يشعر النفس بالثقة والرضا والراحة والاستقرار فهو أمر مطمئن(٢).

أما السعادة، فهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير، وسيأتي التفصيل فيه في مبحث السعادة عند الصوفية-بإذن الله-(٣).

سابعاً: الرمزية في التعبير: التفكير الرمزي هو ذلك التفكير المبني على الصورة الإيحائية، خلافاً للتفكير المنطقي المبني على المعاني المجردة، فاستخدام الأسلوب الرمزي في التعبير إنما يقوم على توصيل الفكرة إلى المتلقي عن طريق الإيحاء أو التعبير غير المباشر، والذي يطلع على مؤلفات الصوفية وأقوالهم يستطيع أن يتبين بسهولة كيف أنهم استخدموا الأسلوب الرمزي، فعبارات الصوفية عادة ما يكون لها معنيان: أحدهما يستفاد من ظاهر الألفاظ، والآخر يعرف بالمعنى الباطني.

أهم الأسباب التي دعت إلى اصطناع الأسلوب الرمزي:

(١) التعريفات، الجرجاني، (ص٧٥)

(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (٢٣/٢).

(٣) انظر: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، إبراهيم تركي، (ص٥٣).

أ-لطافة المعنى حيث إذا بلغ المعنى الغاية في اللطافة، أثر على الشعور الإنساني حتى أصبح من يحس بهذا الشعور لا يستطيع إبراز المعنى طبقاً للحالة التي عنت له في داخله، وذلك لتعذر العبارات الظاهرة وعدم إسعافها لصاحب الوجدان المفعم بالمعنى الدقيق.

ب-حفاظاً على أسرارهم من أن يطلع عليها غيرهم.

ج-اختلاف أحوال الصوفية ومذاقاتهم(١).

ثامناً: الولاية: لقد قام التصوف على أساس الولاية والولي؛ حتى قال الهجويري وهو أحد أئمة المتصوفة: "فاعلم أن أساس التصوف والمعرفة قائم على الولاية"(٢).

وأول من طبق اصطلاح الولاية على أصول التصوف هو الحكيم الترمذي، إذ أن مذهبه كله قائم على الولاية، وآثاره التي خلفها تشهد بذلك منها كتاب "ختم الأولياء"،"سيرة الأولياء"، "عمل الأولياء"، وقد جعل الحكيم الولاية حظاً يختصه الله ويصطفيه لمن يشاء لولايته، كما اصطفى من شاء لنبوته، وقد تطورت هذه النظرية عند الترمذي حتى أدت إلى تفضيل الولي على النبي وإحداث رتبة للولي تسمى (خاتم الأولياء) استفادها منه ملاحدة التصوف وفلاسفته أمثال ابن عربي وبن سبعين وغيرهما(٣).

أما الجانب الأخلاقي في الولاية: فيعتقد غلاة الصوفية أن الأولياء قد وصلوا إلى مرحلة تسقط عنهم التكاليف والفرائض الشرعية، ولايحاسبون عليها، وتحت ستار هذه العقيدة الباطلة، حلل أولياء الصوفية المحرمات والرذائل، من سرقة وزنى وشرب الخمر، وانتشر في

(١) انظر: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، د/إبراهيم تركي، ص(٥٥).

(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي، (ص٢٣١)، إدراة ترجمان السنة -لاهور-باكستان، الطبعة الأولى -١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣)انظر: أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني، عبد الرحمن دمشقية، ص (٤٨). دون معلومات نشر.

مجتمعاتهم وسلوكياتهم الرذائل، والبعد عن الأخلاق الحميدة، وأيضاً يتجلى من هذه العقيدة الفاسدة عدم المساواة فالولي مهما عمل من المنكرات فهو غير محاسب أما المريد أو العامي فهو ملزوم باتباع طريقة شيخه أو وليه ومحاسب على الخلل والتقصير [1].

المطلب السادس
خصائص الأخلاق عند الصوفية

أولا: مصدر الإلزام الخلقي عند الصوفية : مصدر الإلزام الخلقي عن الصوفية هو القلب وليس العقل كما يقول الفلاسفة ، وهذا يجعلهم يقدمون النية على العمل وموافقة لما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : (نية المرء خير من عمله)([2])وأن (من هم بحسنة ولم يعملها فله أجرها)([3])، كما ربطوا أخلاقية الأفعال الإنسانية ببواعثها دون نتائجها حتى وصل عند **رابعة العدوية** ومن على نهجها إلى قطع الصلة بين أخلاقية الأفعال وجزاءاتها ونتائجها حيث اتجه هؤلاء إلى حب الله لذاته وكسباً لمرضاته لا طمعا في ثواب ولا خوفا من عقاب [4]، فارتفعت الجزاءات باعثة على فعل الخير أو تجنب الشر وارتدت أخلاقية الأفعال إلى البواعث والنيات المقترنة بالعزم والتصميم دون النتائج والآثار، وهذا الاتجاه من بعض الصوفية قريب منه ماذهب إليه كانط مما أوضحناه آنفا وهو فعل الخير لأنه واجب لا لنتيجة مرجوة

(١) ينظر: الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، محمد الجوير، (ص٤٤١) ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢) حديث ضعيف، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، الراوي: سهل بن سعد الساعدي ، (ح) ٢٢١٦ ،دار المعارف ،دون طبعة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة أو بسيئة، (ح) ٦٤٩١، (١٠٣/٨).

(٤) يرددن في ذلك عبارة مشهور: " نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه". ينظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، على القاري (ص٣٧٢)، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت.

،فالإلزام الخلقي عند الصوفية لا يرجع إلى سلطة خارجية من دين أو غيره لأنهم لا يوافقون على العبادة أو التخلق رهبة ، فهي عبادة العبيد ولا رغبة لأنها عبادة التجار ة ، وإنما العبادة والتخلق عندهم شكر وهو فعل الأحرار(١).

ثانيا: الضميروالفضيلة عند الصوفية :الضمير فقد عرفه الصوفية ولكنهم أطلقوا عليه أسماء أخرى مثل القلب والروح والنفس والعقل، فكثير ما يريدون بهذه الأسماء أو أحدها ما يريده علماء الأخلاق بالضمير(٢)، الذي يتبع الشرع في بيان الخير من الشر والحسن من القبح ، ويستقل بالمعرفة عندما يسكت الشرع، وهومنبع الأخلاق عندهم أو هو المرجوع إليه في تحديد الأخلاق في هدي الشرع وإن كانوا يقللون من سلطانه فلا يغالون فيه مغالاة علماء الأخلاق،ويشيرون إلى قوة الضمير التي تراقب النفس وتحاسبها قبل العمل وفي أثنائه وبعده، ،وقد اختلفوا فيه اختلاف غيرهم من الفلاسفة من حيث أنه فطري أو كسبي.

أما الفضيلة، فقد تحدث عنها الغزالي ورأى أنها حالة كمال للنفس تنالها إذا اعتلت قواها فلم تجنح إلى الإفراط أو التفريط وتنأى إذا استطاعت القوة العاقلة أن تسوس القوتين الأخيرتين فإذا تم هذا قربت النفس من الله–عزوجل–بالمرتبة لا بالمكان وتلك هي السعادة ، وقد جعل الصوفية للمعرفة شأناً خطيراً في مقاومة الشهوات وثبات باعث الدين ونيل فضيلة الصبر ، ولكن لا يصل ذلك إلى درجة التوحيد بين المعرفة والفضيلة كما ذهب سقراط لأنهم يرون أن

(١) انظر: الأخلاق دراسة فلسفة دينية، عبد الفتاح الفاوي(١٩٨–١٩٩٨). الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي، أحمد صبحي، (ص٢٠٨).

(٢) يعرف فلاسفة الأخلاق الضمير بأنه القوة التي تعتبر المرجع في بيان الخير من الشر والحسن من القبح والتي تأمر بالأول وتثيب عليه بالارتياح والطمأنينة وتنهى عن الثاني وتعاقب عليه بالتأنيب والندم.ينظر: مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد موسى، (ص١٢٣)، مطبعة الأزهر،١٣٦٢هـ–١٩٤٣م.

الإنسان لا يصل إلى الفضيلة إلا بجهاد هواه ونفسه فترك الشهوة والرذيلة وإن كان لا يتم إلا بالمعرفة لكنه لا يتم بها وحدها(١).

ثالثاً: السعادة عند الصوفية: ذكر الصوفية في السعادة أن الخيرات في هذه الحياة كثيرة لكنها ترجع إلى أربعة أنواع: خيرات النفس وهي الفضائل، وخيرات البدن وهي أربع: الصحة والقوة والجمال وطول العمر والخيرات الخارجية وجماعها أربعة أيضاً: المال والأهل والعز وكرم الأصل، والخيرات التوفيقية وهي كذلك أربع: هداية الله ورشده وتسديده وتأييده ، ونرى الغزالي يجعل ضروب السعادة ستة عشرة ضرباً،وهذه الخيرات ليست هي ولا واحدا منها الخير الأعلى عند الصوفية بل الخير الأعلى عندهم السعادة الأخروية التي هي بقاء لا فناء له وسرور لاغم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر يخالطه، فهذه هي السعادة الحقة وماعداها مما تعارف الناس على تسميته سعادة فهو من باب التجوز ، ولا معنى للسعادة عند الصوفية إلا نيل النفس الإنسانية كمالها، وما كمالها إلا التجرد من علائق الدنيا والانكباب بجملة الهمة على التفكير في الأحوال الإلهية، فبالمجاهدة والرياضة وبالتفكير والمعاينة تنال النفس سعادتها فلاعمل بلا علم:(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)، ذلك هو العلم :(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرفعه) ذلك هو العمل(فاطر :١٠) ، وقد كانت السعادة غاية قصوى للأخلاق منذ القدم وخاصة عند فلاسفة اليونان، وقد ظلت تحتل مكان الصدارة من تفكير المسلمين فلاسفة كانوا أو صوفية فكانت السعادة تأملاً عقلياً ينتهي باتصال الإنسان بالعقل الفعال عند الفلاسفة من أمثال الفارابي ومجاهدة للنفس حتى تصفو مرآتها ويرتفع عنها حجاب الحس فيكون الفيض والإلهام فيما يقول الغزالي، أو اتحاد الناسوت باللاهوت فيما يقول البسطامي، أو حلول الخالق في المخلوق كما رأى الحلاج، أو وحدة الوجود التي تجمع بين الحق والخلق فيما ذهب إليه ابن عربي ، **الرأي الراجح في ذلك** أن العلم العقلي الذي أثقب النظار فيه عقولهم ليس بشرط أم العلم بالشريعة من قرآن وحديث وما يتصل بهما فلا نظن أحدا من

(١) انظر: الأخلاق دراسة فلسفة دينية، عبد الفتاح الفاوي، (١٩٥-١٩٦).

المتصوفين الحقيقيين يسعه الاستغناء عنه أو يرى عدم الحاجة إليه بدليل أن سادتهم تحلوا به واشترطوه، يقول سيد طائفتهم أبو القاسم الجنيد:"من **لم** يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة"(١)، وكثيرون منهم كانوا علماء عصرهم في الشريعة.

***الفرق بين السعادة واللذة (٢) :**

السعادة	اللذة
السعادة حالة خاصة بالإنسان	اللذة حالة مشترك بين الإنسان والحيوان
رضا النفس بها تام	رضا النفس بها مؤقت

ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية مرضية، وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تاماً ودائماً، ومتى سمت السعادة إلى مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمل والنظر أضبحت "غبطة"، وإن كانت هذه أسمى وأدوم ،ويمكن القول، على وجه العموم: إن الطمأنينة والسعادة إنما هي خاصية مميزة لكل أنواع التصوف، فالتصوف يهدف إلى ضبط أو قهر الشهوات وإحداث نوع من التوازن النفسي عند الصوفي، الأمر الذي يجعله متحرراً من كل مخاوفه شاعراً براحة نفسية عميقة أو طمأنينة تتحقق معها سعادته ،بالإضافة إلى ذلك ، فإن هذه السعادة لدى الصوفية يمكن أن تحدث نتيجة الفناء في المطلق والمعرفة به ، حيث يغيب الصوفي في حالة فنائه عن إنيته وما يعتورها من آفات وشهوات تسبب له

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم الأصبهاني،(٢٥٥/١٠)،دارالسعادة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

(٢) انظر: الأخلاق دراسة فلسفة دينية، عبد الفتاح الفاوي، (١٩٦-١٩٨). ميزان العمل، الغزالي، (ص٣٠٨)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعةالأولى-١٩٦٤م.

القلق وعدم الاطمئنان ، كما أن معرفته الحقيقية بالله تعالى تجعله متوكلاً عليه حق التوكل وما يستتبع ذلك من راحة نفسية عميقة(١).

رابعاً: الحرية عند الصوفية: تحدث الصوفية عن الحرية ومفهومها عندهم: وهي عدم الاكتراث بالدنيا فيستوي عندهم إقبالها وإدبارها بل ربما كان إدبارها أعظم، مقتدين بما روى عنه صلى الله عليه وسلم: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندها حجرها ومدرها، فالحرية عندهم لا تتعلق بالجوارح وإنما تتعلق بالقلب، وإن ادعى الإنسان الحرية وفي قلبه مراد باق من التعلق بأسباب الحياة فهو كاذب في دعواه.

وقد غير مفهوم الحرية هذا مفاهيم كثيرة عندهم كالفقر والذل والإرادة والعبودية فليس الفقير الصوفي من لا يملك شيئا ولكن من لا يملكه شيء، وليست العزة فيما يمتلكه الإنسان من ثروة وجاه وإنما فيمن ملك النفس كما أن الذل فيمن ملكته نفسه إذ لا رق أملك للإنسان من الشهوة(٢).

خامساً: معان الصلاة والزكاة الصوم والحج عند الصوفية من الناحية الأخلاقية: يرى الصوفية في الصلاة معان باطنة، فاستقبال القبلة، يصرف المصلي عن سائر الأمور إلا الله. وحركات الصلاة هي تحريك الباطن وضبط الجوارح والنية في بدء الصلاة تعني امتثال لله والكف عن المعاصي، ويقتضي التكبير ألا يكون في قلب الإنسان شيء أكبر من الله.

والصوم عند الصوفية ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، وصوم العموم هو كف البطن والفرج عن الشهوة، وصوم الخصوص هو كف

(١) انظر: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، إبراهيم تركي، (٥٣-٥٤).
(٢) انظر: الأخلاق دراسة فلسفة دينية، د: عبد الفتاح الفاوي، (٢٠٠-٢٠١). طبقات الصوفية، السلمي، (ص٣٤٣).

السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، أماصوم خصوص الخصوص فهو كف القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، ويبقى الصيام معلقاً بين السماء والأرض لا ترفعه إلا زكاة الفطر، والصوفية متشددون في وجوب السر في آداء الزكاة أو الصدقة، فلا تقبل في رأيهم صدقة من يسمع ولا من يرائي ولا النمام ولا المتحدث بصدقته(١).

والعزم على الحج لا يعني مجرد مفارقة الأهل والوطن وإنما هجر الشهوات واللذات، وطلوعهم العرفات رمز إلى تعرفهم على معروفهم وهو الحق، وكسر الحجارة ورميها رمزر لكسر الإرادة والشهوة(٢).

هذه بعض المعاني الروحية التي استنبطها الصوفية من الأحكام الدينية، حيث إنهم قد غاصوا إلى الباطن واستنبطوا أدق المعاني وجعلوا الفروض الدينية فضائل أخلاقية، إذ يروى أنه لما خلق الله الإيمان، قال: اللهم قويني، فقواه الله بحسن الخلق(٣).

سادساً: الاعتماد على المنهج التجريبي في الأخلاق : يعد الصوفية من أصحاب المذهب التجريبي في الأخلاق غير أنها تجربة من نوع آخر،تجربة خاصة لا يمكن أن تعمم أحكامها ، فالصوفي يعيش في تجربته أحوال يستغرق فيها بالكلية ولا يكاد يثبت من نفسه شيئا فهو من شدة الوجد ذاهل عن كل ما سوى الحق، فتلمس أصول أخلاقية من التجربة الصوفية متعذر ؛ لأن التجربة الصوفية مع أنها حية مليئة بالمعاني والمبادئ الأخلاقية إلا أنها تجربة ذاتية تتعارض مع كل أصل موضوعي ، والصوفي في تجربته لا يثبت على حال واحدة، فالصوفية رغم تعرضها للمسألة الأخلاقية غير أن أقوالهم فيها لا يمكن أن تكون أصولاً،لاختلاف الحال ولمكان الغلو والشطح أحياناً.

(١) انظر:قوت القلوب،أبوطالب المكي،(١٧٦/٢).
(٢) المرجع السابق، (١٨٩/٢).
(٣)ينظر: الأخلاق دراسة فلسفة دينية، عبد الفتاح الفاوي، (١٠٤-١٠٥).

فإذا كانت النظرة الآخلاقية مثلا تجهل الدار الآخرة دار استحقاق فإن أبا يزيد البسطامي ينظرإليها من غير اكتراث حيث قال:" مالنار لأستئذن إليها غدا وأقول: اجعلني لأهلها فداء أو لأتلفها، ماالجنة إلا لعبة صبيان، ولماذاالحساب والعقاب ولو غفر الله للخلق أجمعهم فما غفر إلا لقبضة تراب ولو أحرقه فما أحرق إلا قبضة تراب، وأي حاجة له إلى لطف يقربه من الطاعة وهو يقول: طاعتك لي يارب أعظم من طاعتي لك"[1] ، بل أن لبعض هؤلاء الصوفية أقوالا وأفعالا تتجافى مع كل قيمة أخلاقية، فالحلاج يلغي —في بعض شطحاته– الشر ولا يفرق بين الإيمان والكفر ويرفع إبليس إلى مقام الفتوة، قائلا على لسانه:"جحودي لك تقديس"، فمثل هذه الأقوال تتناقض مع أبسط القيم الأخلاقية ولا يدفع ذلك تأويلات المتأولين لها خلاصة القول إن التجربة الصوفية وإن قدمت لنا صورا حية غنية من الأخلاق فإنها لم تقدم الأصول النظرية لفلسفة أو اتجاه أخلاقي.[2].

(١) شطحات الصوفية، البدوي، (١/٣٠-٣١)، وكالة المطبوعات-الكويت، دون طبعة.

(٢) انظر: الأخلاق دراسة فلسفة دينية، عبد الفتاح الفاوي، (١٩٩-٢٠١). شطحات الصوفية، البدوي، (١/٧).

المبحث الثاني: الأخلاق في الأحوال والمقامات الصوفية.

المطلب الأول
تعريف المقامات والأحوال والفرق بينهما.

أولا: المقام والحال لغة: مقام جمعه: مقامات، والمقام: هي الخطبة أو العظة التي تلقى في حضرة الملك أو الخليفة، ويقال للمكان الذي يجتمع فيه الناس مقامة، ومقامات الناس أي مجالسهم، وأقمت بالمكان مُقاماً وإقامة [١].

الحال في اللغة: نهاية الماضي وبداية المستقبل والحال هو هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً [٢].

ثانيا: المقامات والأحوال عند الصوفية: قسم الصوفية آداب السلوك وأنواع المجاهدات والرياضات التي يمارسها المريد لتصفية نفسه وتطهيرها إلى مراحل، وأطلقوا على كل مرحلة منها اسم(مقام) مثل الورع والزهد والتوكل وغيرها.

***تعريف الأحوال والمقامات عند الصوفية:** يتحدث الصوفية عن شيء اسمه "حال" وعن شيء اسمه "مقام" ويعتبرون الحال هو مقدمة للمقام، فمثلاً: أول ما يبدأ الإنسان يشتغل بالذكر، يصل إلى الطمأنينة مؤقتة للقلب لا تلبث أن تزول، فهذا حال، فإذا تابع الإنسان الذكر وصل إلى طمأنينة دائمة للقلب، فهذا مقام..." [٣].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة،الهروي، (٢٧٠/٩)، تحقيق:محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي،الطبعة الأولى- ٢٠٠١م.تاج العروس، الزبيدي، (٣٢٠/٣٣)،تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون طبعة.

(٢) التعريفات، الجرجاني، (ص١١٠). تاج العروس، الزبيدي، (٣٧٤/٢٨).

(٣) تربيتنا الروحية، سعيد حوى، (ص١٩١) ،دار السلام، الطبعة السادسة- ١٤١٩هـ.

* **المقام** عند الصوفية معناه: مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات، والرياضات، والانقطاع إلى الله تعالى، فالمقام هو استمرار الحال واستقراره ودوامه بحيث يصبح صفة دائمة لصاحبه.

***الحال:** نازلة تنزل بالقلوب فجأة فلا تدوم، أي ما يرد على القلب من غير تصنع، كحزن أو خوف أو ذوق، وسرعان ما يزول(١).

يظهر من التعريفات السابقة أن المقامات هي مراحل الطريق إلى الله التي يقطعها السالك في رحلته نتيجة مجاهدته لنفسه، أما الأحوال، فهي ما يعرض للسالك دون كسب منه من المعاني الإلهية والأحوال الربانية التي ترد على القلب من غير تعمد من السالك ولا اجتلاب ولا اكتساب، كالطرب والحزن والقبض والبسط والشوق والانزعاج والهيبة.

***عدد المقامات والأحوال لدى الصوفية:** اختلفت أقوال الصوفية في عدد المقامات والأحوال وترتيبها،

فقد جعلها الطوسي في اللمع سبعة **مقامات:** التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا، **والأحوال** عشرة: المراقبة، والقرب، والمحبة، والخوف، والرجاء، والشوق، والأنس، والطمأنينة، والمشاهدة واليقين(٢).

ومنهم من جعلها منازل دون أن يقسمها بالمقامات كما فعل القشيري في رسالته، ولا يعني هذا العدد شيئاً من ناحية تحديد المقامات والأحوال.

***الفرق بين المقامات والأحوال:** بعد الرجوع لكتب التصوف وأقوال علمائهم في المقامات والأحوال يظهر أن هناك فرق بينهما من خلال التعريفات:

---

(١) انظر:معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، (ص٨١)، تحقيق: عبد العال الشاهين، الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ، بتصرف يسير. اللمع في التصوف، الطوسي، (ص٦٥)، تحقيق: طه عبد الباقي-عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة،١٣٨٠هـ. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (ص٤٩٥). عوارف المعارف، السهروردي، (٤٣٩)، دار المعارف-القاهرة، دون طبعة.

(٢) اللمع في التصوف، الطوسي، (٦٨-١٠٤).

المقامات	الأحوال
ما يقام فيه العبد ويتحقق بالعبادات والمجاهدات والمكاشفات فهو مكتسب.	معنى يَرِدُ على القلب من غير تعمد ولا اكتساب فهو يُوهب ويُمنح.
المقامات مكاسب	الأحوال مواهب
سُمِّي مقامًا لثبوته واستقراره.	سُمِّي حالاً لتحوله
متمكن في مقامه.	مترقٍّ عن حاله.
مثل: اليقظة، والتوبة، والورع، والزهد، والفقر، والرضا	مثل: الطرب، والحزن، والبسط، والقبض، والمراقبة

المطلب الثاني
الأخلاق في المقامات والأحوال الصوفية

إن المقامات والأحوال بهذا الترتيب الصوفي ليس له وجود في الشرع، ولم يكن لها ذكر عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة، وقد يتساءل أحدهم بأن المقامات لها ذكر في القرآن والسنة، فنقول ذكرت على أنها صفات وأخلاق يجب أن يتصف بها أهل الإيمان ويتحلوا بها، ويعدها أهل العلم من واجبات الإيمان وأعمال القلوب كالصدق واليقين والخوف والرجاء ونحو ذلك، إلا أنها لم ترد على الوجه الذي اعتنى به الصوفية[1]، وتعتبر المقامات والأحوال عند الصوفية هي تصوير للحياة الخلقية؛ لهذا يرون الإنسان بين حالين:

***الأول حال المجاهدة** ***الثاني تلقي الفيض**

فالشخصية الخلقية تبقى تجاهد الأهواء والشهوات، وتوجه القلب إلى النفحات الروحانية، وأثر التصوف من هذه الناحية عظيم جداً في الأخلاق، فالرجل المتصوف يحاسب نفسه في

(١) انظر: موقف ابن القيم من التصوف، عبد الرؤوف خيري، (ص١٩٩) جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.

كل لحظة، ويتلمس مواقع الفيض في كل لحظة، وهذه الشواغل الدائمة قد تكون مما يصرف النفس عما يحصل في هذا العالم ويكون في عزلة عن الآخرين، مما يجعل الرجل من أهل الوسواس في تعقب ما كان، وانتظار ما سيكون من أعمال القلب والوجدان، ولكنها عند الاعتدال –كما يقولون–تخلق من المرء قوة خلقية تنفع في توجيه الإرادة إلى الصالح من الأعمال (١) .

المطلب الثالث
نماذج من المقامات والأحوال الصوفية

أولا: نماذج من مقامات الصوفية:

***مقام التوبة:** وهو أول مقام عند الصوفية، فالتوبة أول منازل السالكين، وأول مقامات الطالبين، وهي أصل كل مقام ومفتاح كل حال (٢). وللتوبة عشر خصال يجب أن يتحلى العبد التائب بها وهي:

أولها: ألا يعصي الله تعالى، والثانية: ألا يصر إذا ابتلى بمعصية، والثالثة: التوبة إلى الله تعالى منها، والرابعة: الندم على ما فرط منه، والخامسة: عقد الاستقامة على الطاعة إلى الموت، والسادسة: خوف العقوبة، والسابعة: رجاء المغفرة، والثامنة: الاعتراف بالذنب، والتاسعة: اعتقاد أن الله قدر عليه ذلك، وأنه عدل منه، والعاشرة: المتابعة بالعمل الصالح ليكفر عما تقدم من السيئات.

***مقام التوبة وعلاقته بالأخلاق عند الصوفية(١):**

(١) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (ص٤٩٦).

(٢) انظر: عوارف المعارف، السهروردي، (٤٤٢).

أولا: أن الخصال العشرة السابقة من أهم الدعائم في الحياة الخلقية، فكل تردد في التوبة هو في بناء الخُلُق صدع وانحلال، وكل صدق في التوبة هو حجر متين في تقوية الشخصية الخلقية، وتعتبر التوبة تجرد من الرذائل وعن إرادته وحوله وقوته، ويستبدل بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة.

ثانيا: لا تصح للتائب توبة إلا بأكل الحلال، ولا يقدر على الحلال حتى يؤدي حق الله تعالى في الخلق، وحق الله تعالى في نفسه، ولا يصح له هذا حتى يبرأ من حركته وسكونه.

ثالثا: ترك الفضول، وهي ستة أشياء: ترك فضول الكلام، وترك فضول النظر، وترك فضول المشي، وترك فضول الطعام، والشراب واللباس، فيجب أن يحاسب المرء نفسه في كل طرفة، فالتوبة عندهم لا تقتصر على مجرد الإقلاع عن الذنوب، بل مرادهم منها شيئاً أبعد من ذلك وهو التجرد من النفس فيكون المرء برئ من تصرفاته وعن إرادته وحوله وقوته وهذا مخالف لمذهب السلف والصحابة والتابعين.

***مقام الصبر**: هو انتظار الفرج من الله وهو أفضل الخدمة وأعلاها وقال بعضهم لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر [٢].

***مقام الصبر وعلاقته بالأخلاق عند الصوفية:** عناية الصوفية بالصبر تمثل جانب هاماً من تصورهم لكرائم الأخلاق، فالصبر في جوهره من عناصر الشجاعة في مقاومة الشدائد، والشدائد قد تكون حسية وقد تكون عقلية، والصبر عنصر أصيل في الحياة الخلقية، ويظهر فضله في كل باب من أبواب العيش: فيكون في العبادات، وفي طلب العلم، وفي الصناعات، وفي معاملة الناس، ويكون في الصحة وفي المرض، وفي الحب وفي البغض، وفي النعيم وفي البؤس. ورياضة النفس على الصبر هي ذاتها من مصادر الأخلاق [٣]، ويميل أكثر الصوفية

---

(١) انظر: قوت القلوب،أبوطالب المكي،(ص١٤٧)، دون طبعة.التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،زكي مبارك،(ص٤٩٩).

(٢) انظر:معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، (ص٢٤٦).

(٣) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك،(ص٥٠١).

إلى تفضيل الصبر على الشكر؛ لأن الصبر حال البلاء، والشكر حال النعمة، والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق، وعند أكثرهم أن الصابر العارف أفضل من الشاكر العارف؛ لأن الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى، فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه قد فضل الغنى على الفقر.

قد أمر الله عز وجل بالصبر ومدح أهله في آيات كثيرة،فمن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ١٥٢) وفي الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر)[١] ،وأن الإيمان والتقوى ليس شرطاً في حصوله أن يكون هناك بؤس وحزن وخمول كما قالت الصوفية، بل هذا مخالف للشرع، وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر الإنسان بالصبر والعيش في هذه الحياة وأمرنا بالاستعاذة من كل أمر يجلب الهم والحزن، قال تعالى : (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا)(آل عمران: ١٣٩).

***مقام الرضا:** يرى بعض المتصوفة أن العمل على رفع البلاء وإزاحة المصيبة من الاعتراض على القضاء والقدر بل يجب الرضا على كل حال، فيكون على البلاء صابر، حتى وإن وصل إلى مرتبة البؤس والحزن لأنه أحرى للوصول إلى التقوى والإيمان، ومن غلوهم في أخلاقيات هذا المقام أن لا يسألوا الله الجنة ولا يستعيذون من النار، لأنه اعتراض كما زعموا، وقد حكى الغزالي في إحيائه: "وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضي أشد علي من ذهاب ولدي"[٢].

وغلوهم في هذا المقام أيضاً مخالف للشرع، فإن الرضا مأمور به، وأن الحزن على المصيبة معفو عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله، لكن لا يعني تجرد العبد من كل عمل يرفع البلاء بل الواجب عليه السعي وفعل الأسباب من غير تسخط، وأما سؤال الله الجنة والاستعاذة من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الزكاة، باب الاستعفاف في المسألة،(ح) ١٤٦٩،(١١٢/٢).
(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٤/ ٣٥٠).

النار مخالف للرضا كما زعموا فإنه غير صحيح بل ومخالف للأدلة التي فيها سؤال الله الجنة والاستعاذة من النار، قال الرسول –صلى الله عليه وسلم-: (اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل) (١).

***مقام الزهد:** ذكر الطوسي في اللمع أن الزهد "هو أساس الأحوال الرضية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يُحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة"(٢) .

والزهد عند الصوفية أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله، يقول أحدهم عن زاهد: (صدق فلان، قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده على ظاهره) (٣)، قد يكون الإنسان غنيًّا وزاهداً في ذات الوقت إذ أن الزهد لا يعني الفقر، فليس كل فقير زاهداً، وليس كل زاهد فقيراً.

***مقام الزهد وعلاقته بالأخلاق:**

والزهد على ثلاث درجات تتناول الأخلاق:

أولا: . ترك الحرام، وهو زهد العوام (المبتدئون)

ثانيا: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص (المتحققون).

ثالثا: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو (زهد العارفين) (٤).

***أهم الأمور التي تدخل ضمن دائرة مقام الزهد:**

_ترك الزواج: فنفروا الناس عن الزواج، لأنهم يعتبرون الزواج من الأمور التي تشغل عن طاعة ربه، يذكر الغزالي في الإحياء: "العم أن المريد لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزويج" (١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، (١٧/٥)، باب الجامع من الدعاء، (ح)٣٨٤٦.

(٢) اللمع في التصوف، الطوسي، (ص٧٢).

(٣) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (ص٥٠٧).

(٤) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (ص٥٠٧).

-الجوع وتعذيب النفس: وذلك لنظرتهم الصوفية المتشائمة إلى الدنيا، حيث يعتمدون على الأساليب المعيشية التي تهدف إلى إذاء النفس وتعذيبها طمعاً في الأجر بزعمهم [٢].

-ويصل بهم الأمر إلى تحريم الأطعمة المباحة كاللحم مثلا، لأنه بزعمهم يقسي القلب، وقد منع أبو يزيد البسطامي نفسه من شرب الماء سنة [٣].

- التجرد من المال: ذم الصوفية المال والتكسب في هذه الدنيا، وجردوا أنفسهم وحرموا ورثتهم، وزعموا أن ذلك قربة وعبادة وإخلاص لله تعالى، واعتبروا ادخار المال حجاب وعقوبة.

وحكي عن الشبلي أنه كان يحرق اللوز والسكر بالنار، كما يحكى عنه أيضاً أنه باع عقار بمال كثير، فما قام من موضعه حتى نثرها وفرقها على الناس، وكان له عيال لم يدفع إليهم شيئاً من ذلك [٤]. فالتجرد من المال من صور الزهد المزعوم عند الصوفية [٥].

***الفرق بين الزهد المشروع والزهد عند الصوفية:**

الزهد المشروع فضيلة وعمل مشروع مستحب وهو خُلق الأنبياء والصالحين الذين يؤثرون ما عند الله على التنعم قال تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ)(الحشر: ٩)، وهذا لكمال زهدهم ورغبتهم عن الدنيا، أما زهد الصوفية فزادوا على ذلك أموراً محدثة كالمكاشفات والذوق والوجد وغيرها، ويريدون بالزهد شيء آخر، لأن الصوفي إذا تحقق صوفيته يصبح الزهد عنده شيئاً لا معنى له، فهو يحتاج الزهد في أول الطريق فقط، لأنه في نهاية الأمر قد يصل إلى مرحلة يشرب فيها الخمر ويزني وغيرها من المحرمات والأخلاق الفاسدة؛ لأن عقيدتهم وحدة الوجود في النهاية لا تجعل فرقاً بين الزنديق والصدّيق، ولا بين الأخت

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، (١٠١/٣).

(٢) انظر: الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، محمد الجوير، (ص٥٢٥).

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣٥٦/٤).

(٤) انظر: اللمع في التصوف، الطوسي، (ص٤٨٣).

(٥) انظر: الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، محمد الجوير، (ص٥٣٠).

والأجنبية ولا بين الملك والشيطان [1] ، يقول ابن الجوزي في كتابه تلبس ابليس: "فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف ... وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه"[2].

***مقام الورع**: الورع في الأخلاق هو صون النفس عن دنس الطباع هو مقام من مقامات الصوفية معناه: ترك الشبهات وتحرى الحلال في المطعم والمشرب، ولقد توسع الصوفية في ذلك حتى أنهم حرموا على أنفسهم كل قول أو فعل.

***أقسام الورع عند الصوفية**: قسموا الورع ثلاث درجات:

- ورع العوام: وهو ورع الشبهة والحرام.
- ورع الخواص: هو ورع عن كل ما للنفس والهوى فيه شهوة.
- ورع خواص الخواص: هو ورع عن كل ما لهم فيه من إرادة ورؤية[3].

***مقام التوكل**: التوكل عند الصوفية، هو الإعراض عن القيام بأي سبب من الأسباب، ولا يكون للعبد أي تصرف بحيث يصبح كالآلة، قال سعيد أبو الخراز: " كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي أن أسأل الله تعالى طعاماً فقلت ليس هذا من أفعال المتوكلين"[4].

***مقام التوكل وعلاقته بالأخلاق عند الصوفية**: التوكل عند الصوفية لا بد أن تتوفر فيه عدة أمور أخلاقية:

-البعد عن القيام بأي سبب كان يحصل من جرائه على الرزق الذي يعف به نفسه عن سؤال الناس.

---

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبدالخالق، (ص٤٣).

(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، (ص١٤٩).

(٣) ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، (ص٢١٨). إحياء علوم الدين، الغزالي، (٢/ ١٠٧).

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٤/٢٧٥).

-التجرد عن المال الذي يشكل عصب الحياة وعدم ادخاره.

-عدم التداوي وعدم اللجوء لفعل الأسباب عند التعرض للأخطار والمهالك[١].

هذا التصور والمفهوم للتوكل عند الصوفية أوقع المتصوفة في مهنة التسول والتكفف لسد رمق الجوع.

ومعلوم أن والتوكل على الله مقام جليل عظيم القدر، وأمر الله سبحانه عباده به وحثهم عليه في مواضع كثيرة، قال تعالى: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣)وقد جعل التوكل سبب لنيل محبته سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩) ومكانة التوكل في الإسلام رفيعة، وهو من أجل العبادات التي يجب إخلاصها لله، ولم ينقل أحد من السلف ما ذكره المتصوفة في التوكل وغلوهم فيه بل ما ذكروه خرافات وإدعاءات كاذبة ومعتقدات خطيرة منافية للشرع، يقول ابن الجوزي في معرض رده على الصوفية في هذا المقام: " قلة العلم أوجبت هذا التخطيط ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال فقد قال تعالى: (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً)(النساء: ٥) أي قواما لأبدانكم" [٢].

ثانيا: نماذج من الأحوال عند الصوفية:

* **حال المحبة:** ويعرفها المحاسبي: "المحبة هي ميلك للشيء بكليتك ثم إثارك على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك في تقصيرك في حبه"[٣] فالمحبة حال من الأحوال عند الصوفية، ولها منزلة رفيعة وهي قريبة من العشق والهوى الذي يزعمون أنه من

(١) ينظر: الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، محمد الجوير، (ص٥٩١).

(٢) تلبيس إبليس، الجوزي، (ص٢٤٨).

(٣) الردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، محمد الجوير، (ص٦٠٩).

مقدمات الاتصال بالخالق تعالى، وقد يرمز الصوفية للمحبوب الإلهي برموز، ويعبر الصوفية في كثير من الأحيان عن الحب بالمحبة وهو يعرف عندهم بالعشق الإلهي [١].

***الأخلاقيات في حال المحبة عند الصوفية قسمان [٢]:**

-الأخلاق في الحب عام: وهو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وهذا الطريق عندهم يسلكه العوام، للوصول إلى حب الله العام.

-الأخلاق في الحب خاص: حب السكرات [٣] : وهو الحب الذي يتحصل عليه الإنسان هبة من الله، ولا يمكن الحصول عليه عن طريق التكسب، وإنما يحصل عليه الإنسان عن طريق مشاهدة الروح حتى يتجلى نور الله على الكائنات -حسب زعمهم-.

يقول الهروي في كتابه منازل السائرين: "السكر فِي هَذَا الْبَاب اسْم يشار بِهِ إِلَى سُقُوط التمالك فِي الطَّرب وَهَذَا من مقامات المحبين خَاصَّة فَإِن عُيُون الفناء لَا تقبله ومنازل الْعلم لَا تبلغه"[٤].

وهذه هو مفهوم المحبة عند الصوفية وهو مفهوم خاطئ، فإن محبة الله لا تأتي بتلك الصورة، فمحبة الله الخالصة في مفهومها الشرعي أمر واجب كما جاءت في الكتاب والسنة، ومحبة الله الخالصة تقتضي الإقلاع عن إشراك أحد مع الله بالحب الخالص، وهذا هو المرتكز الذي تقوم عليه عقيدة التوحيد.

والحب الإلهي الخالص الشرعي هو شوق من العبد للقاء ربه ومرضاته، وهذا يستلزم أن يكون للمؤمن أسوة حسنة برسول الله -صلى الله عليه وسلم-يأتمر بأمره ويتنهى بنهيه، فعندئذ تتحقق محبة الله الشرعية، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(آل عمران : ٣١).

---

(١) انظر: المرجع السابق، (ص٦٢١).

(٢) انظر: عوارف المعارف، السهروردي، (٢٩٦).

(٣) السكْر: هو أن يغيب الإنسان عن تمييز الأشياء، فيغيب القلب عما يجري من أحوال الخلق.

(٤) منازل السائرين، عبد الله الهروي، (ص١٣٨)، دار الكتب العلمية-بيروت، دون طبعة، ١٤٠٨هـ.

وتعبيرهم بلفظ "السكر أو السكرات" لم يقل بها أحد من السلف في هذا الموضع، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين، وعامة ما يستعمل هذا اللفظ في الموضع المذموم، (١) قال تعالى:﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ)(النساء :٤٣).

وقد وصف ابن عقيل اعتقادهم بالأوهام والهواجيس: " فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله إنما هو وهم اعترض وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق إليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم في العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب" (٢).

***حال الرجاء والخوف (٣):**

للصوفية كلام كثير في الرجاء الخوف، واهتمامهم به هو أيضا من دعائم الأخلاق؛ لأن المذنب الذي لا يرجو ربه في قبول المتاب ينقلب إلى قوة يائسة خطرة لا يرجى لها صلاح، ولا ينتظر منها نفع، وانقطاع الصلة بين المرء وبين ربه هو أقصى غايات الفساد، وتخويف المرء من ربه له حدود، ولا ينبغي أن يصل الخوف إلى اليأس، والصوفية في ذلك يخالفون ما دعا إليه الإسلام حيث ابتدعوا مفاهيم وسلوكيات ومصطلحات مخالفة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، لكن الذي وصل إليه بعضهم من الحلول والاتحاد والفناء، وسلوك طريق المجاهدات الصعبة، إنما انحدرت هذه الأمور إليهم من مصادر دخيلة على الإسلام كالهندوسية والبوذية وغيرها من العقائد المنحرفة.

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (٣١٨/٣)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

(٢) تلبيس إبليس، الجوزي، (ص٢٢٠).

(٣) انظر: قوت القلوب،أبوطالب المكي، (ص٣٤٧). التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، (ص٥٠٥).

المطلب الرابع
نموذج على الطرق الصوفية
في المقامات والأحوال "الطريقة الملامية أو الملامتية"

***التعريف والتأسيس:** فرقة صوفيةظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في مدينة نيسابوربخرسان، كانت معارضة لمدرسة العراق الصوفية، مؤسِّسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمَّار المعروف بالقصَّار مات سنة (٢٧١هـ)، وقدْ بلورها وأعطاها شكلَها النهائي تلميذُه أبو محمد عبد الله بن منازل، مات بنيسابور سنة (٣٢٩هـ) أو (٣٣٠هـ)[١].

***سبب التسمية بالملامية:** سموا أنفسهم الملامتية، من (الملامة)؛ لأنَّهم يشتغلون بملامةِ أَنفسِهم ويُهملون الشريعةَ والأخلاق، ويأتون بما يلومه الناس عليهم من القبائح والعظائم ومساوئ الأخلاق، وما تنفر منه الطبائع والفطر السليمة؛ ولا يعبؤون بلوم الخلق لهم؛ كل هذا ليُخفوا على الخلق أنهم أولياء، ولينفردوا بسرهم مع الخالق [٢].

وأوَّل مَن ألَّف عنهم وخصَّهم بالحديث هو عبد الرَّحمن السلمي في كتابًا سمَّاه (أصول الملامتية وغلطات الصوفية)[٣]، قرَّر في صدر كتابه أنه لا يوجد لهم كُتب مصنفة، ولا حكايات مؤلفة، وإنَّما هي أخلاقٌ وشمائل ورياضات[٤]، وفي كتُب ابن عربي (كالفتوحات المكية) كلام كثير عنهم، وكذا فصَّل القولَ فيهم شهاب السُّهْرُوَرْدي في كتابه «عوارف المعارف»، وممن كتب عنهم أيضاً الدكتور أبو العلا عفيفي في كتابه: (الملامتيةوالصوفية وأهل

(١) انظر: أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، شوقي أبو خليل، (ص٣٣٢)، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى-١٤٣٠هـ. كشف المحجوب، الهجويري، (ص٢٥٩)، ترجمة: إسعاد قنديل، مكتبة الإسكندرية،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

(٢) انظر: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، أبو العلا عفيفي (ص ٨٩)، منشورات الجمل-بيروت-بغداد،٢٠١٥. كشف المحجوب، الهجويري، (ص٢٥٩).

(٣) حقَّقه أبو العلا عفيفي، طُبع في مصر سنة ١٣٦٤هـ، وحقَّقه أيضًا عبد الرحمن الفاوي.

(٤)انظر: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، أبو العلا عفيفي (ص ٦).

الفتوة) وكتَب عنهم الدكتور مصعب الخير إدريس السيد كتابه: (الملامتية في التصوف الإسلامي – حقيقتهم، وأنواعهم، وصورتهم عند السلفيين الجدد) (١).

وقد جعَل السلميُّ وابنُ عربي هذه الطائفةَ في أعلى المنازل؛ فهم –عندهم –سادة أهل الطريق وأئمتهم، في طبقة فوق علماء الشريعة والزهاد، وفوق سائر الصوفية، ولا يتكلم ابن عربي على المقامات إلا ويجعل الملامتية في أعلى تلك المنازل، بل زعم الهجويري أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم منهم؛ فقال: "هم سادات أهل طريق الله وأئمتهم، وسيد العالم فيهم ومنهم، وهو محمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم! وهم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها "(٢) .

بينما جعلهم السهروردي في مرتبة دون الصوفية، أما ابن الجوزي فيصفهم بأنهم أسقطوا جاههم عند الله تعالى (٣).

***أصولَهم وغلطاتهم:**

ذكَر السُّلميُّ في كتابه أصولَهم التي استنبطَها مِن مشايخهم وما أجابوا به من سألهم، وقد قاربت على الأربعين أصلًا، يُصدِّر كل أصل بقوله: ومِن أصولهم، وأحيانًا يُصدِّره بـ: وسُئل الشيخ الفلاني، وأحيانًا يقول: وما يشبه أصولهم كذا، وأحيانا يذكر الأسئلة والجواب عنها فقط.

بعض الأصول التي علاقة بالأخلاق بشكل مجمل:

فمن أصولهم:

–أن الأذكار أربعة: ذِكْر باللسان، وذِكْر بالقلب، وذِكر بالسر، وذِكر بالروح، ولكلٍّ منها آفة.

---

(١)رابط البحث: http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=١٣٧٠٧

(٢) انظر: كشف المحجوب، الهجويري، (ص٢٥٩).

(٣) انظر**:** عوارف المعارف، السهروردي، (ص ٥٤). تلبيس إبليس، ابن الجوزي، (ص٢٦٢).

– مخالفة النفس في كل حال، فيُسلِّمون على مَن يكرهون ويفعلون ما لا يرغبون كلّ هذا لستر أحوالهم.

–مقابلة من يُسيء إليهم ويؤذيهم بالاحتمالِ والحلم والتواضع.

–أنَّ كل عمل أو طاعة وقعتْ عليه رؤية العبد فهو باطل.

–ترك تعيير الناس بعيوبهم.

–أنَّهم كرهوا أن يُخْدَموا أو يُقصَدوا أو يُعظَّموا.

–ترك الرجوع إلى أحد من المخلوقين.

–من الأعاجيب في أصولهم: أنهم إذا أجيبت دعوتهم حزنوا واستوحشوا وقالوا: هذا مكرٌ واستدراجٌ.

– قَبولُ الرزق إنْ كان فيه ذلٌّ، وردُّه إنْ كان فيه عزَّة.

مِن أصولهم في الإخوة وهو مِن أجمل الكلام في أدَب الإخوة: حُسن الصُّحبة ظاهرُه: أن توسِّعَ على أخيك مِن مال نفسك ولا تطمع في مالِه، وتنصفه ولا تطلب منه الإنصاف، وتكون تبعًا له ولا تطلب أن يكون تبعًا لك، وتتحمَّل منه الجفوة ولا تجفوه، وتستكثرَ قليل برِّه وتستقلَّ ما يتصل منك إليه من ذلك.

–أن الملامتي ليس له مرسوم علم، ولا مكتوب كتب(١).

مما سبق من أصولهم يتبين أن هناك أمور موافقٌة لأصول الشريعة المطهرة، وما هو منها بعيد ومنحرف عنها ،و قدِ اضمحلَّتْ هذه الطريقة كطريقةٍ مستقلَّة، لكنَّها استمرَّت لها مظاهر في سلوك كثير مِن الأولياء المزعومين في كلِّ الطرق،وبقيتْ آثارٌ لهم في سلوك كثير من العوام؛ تظهر في تبرير المعاصي والأفعال الشائنة، فكل خطيئة لها عندهم تبرير ،وقدْ ظهر الغلاةُ منهم في تُركيا حديثًا بمظهرِ الإباحية والاستهتار، وفِعْل كلِّ أمر دون مراعاةٍ للأوامر والنواهي الشرعية ،وهذه الطريقة هي إحدى تطوُّر المذهب الصوفي حيث يأتون بما يلامون عليه من

(١)انظر: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، أبو العلا عفيفي (ص ٩١).

المنكرات والفواحش والجهر بالمعاصي؛ حتى لا يعرف الناس أنه ولي أو أن له منزلة عند الله تعالى؛ ويُعلِّلون لهذا بأنَّه مع الناسِ في الظاهِر، وهو مع الله في الباطنِ مهما كانت أفعاله في الظاهِر[1]، ولأجْلِ ذا قال قائلهم: "رياءُ العارفينَ أفضلُ مِن إخلاصِ المريدين"[2].

***نقد الطائفة الملامتية في ميزان الشرع:**

اللوم مطلوبًا شرعًا ومُرغَّبًا فيه، بل مأمورًا به، كلَومِ النَّفس على تَقصيرِها في حقِّ الله تعالى، والتفريط في جنابه العظيم، ولومها على إسرافِها في الذنوب والمعاصي والتعلق بالشهوات، وبذلك وردتِ النصوص الشرعية مُثنيةً على صاحب هذه النَّفس اللوامة، في قولِه سبحانه:﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)(القيامة: ٢)، ولا يقسم الله تعالى بشيء من خلقه إلا لعظم شأنه أو وجود آية فيه وعبرة؛ قال الإمام ابن كثير: "إنَّ المؤمنَ واللهِ ما نراه إلَّا يلوم نفْسَه: ما أردتُ بكلمتي؟ ما أردتُ بأكلتي؟ ما أردتُ بحديثِ نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدُمًا ما يعاتب نفسه"، وأمَّا (الملامتية)، فإنَّ لومَ النَّفس عندَهم يعني أنَّ الأولياء مخالِفون لظواهر الشرع، مخالفون لأحوال الناس[3].

وقد وضَّح شيخ الإسلام ابن تيمية أمْرَهم، وأنَّهم ليسوا كمَن يحتمل الملامة والأذى في سبيل الله وحبه وما يرضيه تعالى، وجهاد أعدائه؛ قال رحمه الله :" وهؤلاء هم الذين يحتملون الملامَ والعذْل في حبِّ الله ورسولِه والجهادِ في سبيلِه، واللهُ يحبُّهم وهم يحبُّونه، ليسوا بمنزلةِ مَن يَحتمل الملامَ والعذلَ في محبَّة ما لا يُحبُّه اللهُ ورسولُه، ولا بمنزلة الذين أظهروا من مكروهاتِ الحقِّ ما يُلامون عليه ويسمون بـ(الملامتية)، ظانِّين أنهم لما أظهروا ما يَلومُهم الخَلْقُ عليه مِن المنكرات مع صِحَّتهم في الباطن كان ذلِك مِن صِدقهم وإخلاصهم، وهم في ذلك إنما يتبعون الظن

(١)الطائفة الملامتية مالهم وماعليهم، رضا جمال، موقع الصوفية http://www.alsoufia.com/main/

(٢) مدارج السالكين ،ابن القيم، (٣/٣٢٠)،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

(٣) الطائفة الملامتية مالهم وماعليهم، رضا جمال، موقع الصوفية http://www.alsoufia.com/main/

وما تهوى الأنفس؛ فإنَّ ذلِك المنكرَ الذي يكرهه اللهُ ورسولُه لا يكون فِعلُه مما يحبُّه الله ورسولُه، ولا يكون مِن الصدق والإخلاصِ في حبِّ اللهِ ورسولِه، والناسُ يُلامونَ عليه"[1]

(1) الاستقامة، ابن تيمية، (١/٢٦٤ – ٢٦٥)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود –المدينة المنورة، الطبعةالأولى–١٤٠٣هـ.

الخاتمة والتوصيات

وفي نهاية البحث، نحمد الله على ما من ويسر وأعان، ونجمل هنا أهم ما توصلنا إليه في هذا البحث من نتائج وتوصيات، أما النتائج:

١- الأخلاق عند الصوفية ليست مجرد تطهير للقلب من الآفات، وإنما تسري مع المقامات الصوفية ابتداءً من مقام التوبة وانتهاءً بمقام التوحيد أو الفناء.

٢- الصوفية رغم تعرضها للمسألة الأخلاقية غير أن أقوالهم فيها لا يمكن أن تكون أصولاً، لاختلاف الحال ولمكان الغلو والشطح أحياناً.

٣- ظهر على خصائص التصوف الإسلامي جوانب خلقية عديدة.

٤- كثافة المصنفات الصوفية وأثرها على عقيدة المتصوف.

٥- إن ظهور المقامات والأحوال الصوفية، ما هي إلى نتيجة الغلو الشديد في فهم وسطية الإسلام.

٦- المخالفات الشرعية في المقامات والأحوال الصوفية، وغلوهم في ذلك الأمر الذي أدى بهم إلى الوقوع في البدع والخرافات والأوهام.

٧- فكرة المقامات والأحوال الصوفية ليس لها وجود في الشرع، ولم يكن لها ذكر عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة.

أبرز التوصيات::

١- عمل دراسات على الجانب الاخلاقي عند مختلف علماء الصوفية وبيان الحق والصواب فيها.

٢- إيجاد مركز متخصص لأبحاث ومقالات عن الصوفية وكل ما يتعلق بهم من الناحية الأخلاقية.

والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن تيمية والتصوف، مصطفى حلمي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى-٢٠٠٥م.

٢. الأخلاق دراسة فلسفة دينية، عبد الفتاح الفاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣. الأخلاق عند الغزالي، زكي مبارك، مؤسسة هنداوي، مصر.٢٠١٢م.

٤. الآداب الشرعية، ابن مفلح، عالم الكتب، دون طبعة وتاريخ نشر.

٥. أستاذ السائرين الحارث المحاسبي، عبد الحليم محمود، دار المعارف-القاهرة، دون تاريخ النشر.

٦. الاستقامة، ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود-المدينة المنورة، الطبعةالأولى-١٤٠٣هـ.

٧. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، على القاري، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨. أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى-١٤٣٠هـ.

٩. أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني، عبد الرحمن دمشقية، دون معلومات نشر.

١٠. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى -١٤٠٨هـ

١١. تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون طبعة.

١٢. تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر-بيروت، الطبعة الثانية-١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.

١٣. تاريخ بغداد، البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ -٢٠٠٢ م.

١٤. تحصيل السعادة، شرح: علي بو ملحم، دارومكتبة هلال، لبنان، الطبعة الأولى،١٩٩٥م.

١٥. تذكرة الحفاظ، الذهبي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى-١٤١٩هـ.
١٦. تربيتنا الروحية، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة السادسة-١٤١٩هـ.
١٧. التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، إبراهيم تركي، دار الكتب القانونية-مصر، دون طبعة-٢٠٠٩م.
١٨. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، مؤسسة هنداوي-مصر،٢٠١٢م.
١٩. التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي، إدراة ترجمان السنة -لاهور-باكستان، الطبعة الأولى -١٤٠٦هـ-
٢٠. التعريفات، الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت —لبنان. طبعة أخرى: تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، دون طبعة-١٤٠٥هـ.
٢١. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية/ منشورات محمد علي بيضون — بيروت، الطبعةالأولى - ١٤١٩ هـ.
٢٢. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٣. تهذيب الأخلاق، مسكويه، تحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل-بغداد، بيروت،٢٠١١م.
٢٤. تهذيب اللغة، الهروي، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى-٢٠٠١م.
٢٥. التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية، فخر الدين المحسي، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الخامسة-١٤٣٣هـ.
٢٦. جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، أحمد النقشبندي، تحقيق: أديب نصر الله، مؤسسة الانتشار العربي-بيروت، الطبعة الأولى-١٩٩٧م.

٢٧. حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، الطبعة الخامسة، دون تاريخ ومكان النشر.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دارالسعادة -مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

طبعة أخرى: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الرابعة-١٤٠٥هـ.

٢٨. الخطاب الأخلاقي في الحضارة الإسلامية، حامد طاهر، شركة نهضة مصر، الطبعة الأولى،٢٠٠٦م.

٢٩. دراسات في التصوف والفلسفة، صالح الرقب، الجامعة الإسلامية-غزة، الطبعة الأولى-١٤٢٧هـ.

٣٠. دراسات في الفرق الصوفية نشأتها وتطورها، محمد العبده وطارق عبد الحليم، دارالأرقم-الكويت.

٣١. رسالة التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق: سحبان خلفات، الجامعة الأردنية، عمان-الطبعة الأولى،١٩٧٨م.

٣٢. الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، عبد الحليم محمود، دار المعارف-القاهرة، الطبعة الثالثة.

٣٣. السلسلة الضعيفة، الألباني، دار المعارف، دون طبعة.

٣٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الحديث-القاهرة، دون طبعة-٢٠٠٦م.

٣٥. شطحات الصوفية، البدوي، وكالة المطبوعات-الكويت، دون طبعة.

٣٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ.

٣٧. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٨. صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة-مصر،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٩. الصفدية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، مكتبة ابن تيمية –مصر، الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ
٤٠. الصوفية عقيدة وأهداف، ليلى بنت عبد الله، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ.
٤١. طبقات الصوفية، السلمي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى–١٤١٩هـ.
٤٢. العقل وفهم القرآن، المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، الطبعة الأولى– ١٣٩١هـ–١٩٧١م.
٤٣. عوارف المعارف، السهروردي، دار المعارف–القاهرة، دون طبعة.
٤٤. فتاوى نور على الدرب، ابن باز، ترتيب: الشويعر، دون معلومات نشر.
٤٥. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد خالق، مكتبة ابن تيمية– الكويت، الطبعة الثالثة–١٤٠٦هـ.
٤٦. الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي، أحمد صبحي، دار المعارف – مصر،١٩٦٩م.
٤٧. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان، الطبعة الثانية–١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م.
٤٨. كشف المحجوب، الهجويري، ترجمة: إسعاد قنديل، مكتبة الإسكندرية،١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.
٤٩. اللمع في التصوف، الطوسي، تحقيق: طه عبد الباقي–عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة،١٣٨٠هـ.
٥٠. مباحث في فلسفة الأخلاق، محمد موسى، مطبعة الأزهر،١٣٦٢هـ–١٩٤٣م.
٥١. متصوفة بغداد، عزيز السيد جاسم، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

٥٢. مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، دون طبعة، ١٤١٦هـ.

٥٣. مدارج السالكين، ابن قيم، مجموعة محققين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى -١٤٣٢هـ — ٢٠١١م.

طبعات أخر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي — بيروت، دون طبعة.

٥٤. مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفا التفتازاني، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ،١٩٧٦م.

٥٥. معاتبة النفس، المحاسبي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الاعتصام، ٢٠٠٢م.

٥٦. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية-الرياض،١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٥٧. معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال الشاهين، الطبعة الأولى-١٤١٣هـ.

٥٨. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتب اللبناني — بيروت، ١٩٧٣م.

٥٩. الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، أبو العلا عفيفي، منشورات الجمل-بيروت-بغداد،٢٠١٥ م.

٦٠. الملل والنحل، الشهرستاني، ضبطه وعلق عليه: كسرى العلي، مؤسسة الرسالة-دمشق، الطبعة الأولى-١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٦١. منازل السائرين، عبد الله الهروي، دار الكتب العلمية-بيروت، دون طبعة، ١٤٠٨هـ.

٦٢. منهاج السنة، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى-١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٦٣. موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، الوصيفي، دار الإيمان-الإسكندرية،٢٠٠١م.

٦٤. الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة –١٤٢٠هـ.
٦٥. موقف ابن القيم من التصوف، عبد الرؤوف خيري، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.
٦٦. موقف ابن تيمية من الصوفية، محمد العريفي، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى – ١٤٣٠هـ.
٦٧. ميزان العمل، الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعةالأولى–١٩٦٤م.
٦٨. نشأة الفكر الفسلفي في الإسلام، على النشار، دار المعارف–القاهرة، الطبعة التاسعة–١٩٧٧م.
٦٩. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر–بيروت، ١٩٠٠م.
٧٠. الولاية عند غلاة الصوفية، عبد الحميد عرادة، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية بغزة،١٤٣١هـ–٢٠١٠م.